العقل النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ

القسّ عيد صلاح

مُقدِمةٌ:

حول مناقشة هذا الموضوع في ملف النسور: "الذكاء الاصطناعيّ تحديات ورؤى"، ستكون مشاركتي تحت عنوان: "دور العقل النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ"، ويعود بنا هذه الموضوع إلى قصة الخلق التي فيها خُلِقَ الإنسان على صورة الله ومعنى هذا، ثم المرور على تعليم المسيح حول أهمية العقل في الحياة المسيحيّة، وتعليم الرسول بولس أيضًا، لكي تعطي لنا نورًا وإلهامًا في موضعنا هذا، للتأكيد على قيمة وكرامة الإنسان وأنه يمتلك أهم سبيكة ذهبية في العالم وهي العقل. هذا هو القسم الأول حول التأصيل اللاهوتيّ، ثم يأتي بعد ذلك في القسم الثاني مناقشة العقل النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ.

وفي البداية يُعَرَّف العقل على النحو التالي: ولقد وردت لفظة عقل في المعجم الوسيط، وبعدة تصريفات منها: عاقلة، عقال، عاقول، وعقول، وغيرها، ومن المعاني الواردة قولهم عقل عقلًا أي أدرك الأشياء على حقيقتها. (الطريري، 33). وإنه ما يميز به الحسن من القبح، والخير من الشر، والحق من الباطل. كما أنَّ معنى القلب، والحصن، والملجأ... كلها من المعاني المعبِّرة عن العقل في بعض الاستخدامات. (الطريري، 33).

القسم الأول: التأصيل اللاهوتيّ والكتابيّ لأهمية العقل

يُبنى التأصيل اللاهوتيّ على مبادئ كتابيّة هامة في الكتاب المقدّس تبيّن قصد الله من خلق الإنسان في قصة الخلق، ثم تعاليم المسيح ومعجزاته، ثم تعاليم الرسول بولس في القدرة على التمييز والحياة بلا عثرة.

أولًا: الإنسان مخلوق على صورة الله

نقرأ في أول تصور عن الإنسان في سفر التكوين الآتي: "وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى **صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ **عَلَى صُورَتِهِ**. عَلَى **صُورَةِ اللهِ** خَلَقَهُ. **ذَكَرًا وَانْثَى خَلَقَهُمْ**. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: اثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ وَاخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ." (تك 1: 26–28).

السؤال ما هي صورة الله؟ وهل لله صورة؟ وما معنى أن الإنسان مخلوق على صورة الله؟ على هذه الأسئلة يجيب مايكل إيتون Michael Eaton بالقول: "كل عصر يميل إلى أن يقرأ صورة الله حسب رؤيته وأفكاره الخاصة؛ ففي القرن الخامس الميلادي واحدٌ من آباء الكنيسة وهو أثناسيوس كان مهتمًّا بقضية التجسّد بأنَّ المسيح هو كلمة الله (الكلمة العقل)، وقال إنَّ صورة الله قدرتنا على التعقل". (Michael Eaton, 30)

ويواصل إيتون بالقول: "كان أوغسطينوس مهتمًّا بعقيدة الثالوث (الآب والابن والروح القدس) فقال إن صورة الله هي الذاكرة والعقل والشعور. وفي القرن السادس عشر المصلحون الذين استُخدِموا بواسطة الله لنهضة وإحياء الكنيسة نادوا بأنَّ التبرير بالإيمان فقط، قالوا: إنَّ صورة الله هي بر الإنسان قبل السقوط، وفي عصر التنوير الذي ركَّز على القدرة الإنسانيّة قال المفكرون إنَّ صورة الله تعني النفس المستنيرة للإنسان". (Michael Eaton, 30-31).

الله ليس له صورة مادية، فليس كمثله شيء "لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ، وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ." (مز 86: 8). وهذا ما يؤكّده العهد الجديد: "وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ **حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ**" (كو 3: 10). "وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ **بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ**." (أف 4: 24).

صورة الله هي القدرة الروحيّة، والضمير الحي، وفهم الأبديّة والمسؤوليّة، هي القدرة على التحكم وضبط الخليقة، هي العلاقة الشخصية مع الله، والقدرة على التحليل والتفكير (تك 2: 20). القدرة على التواصل والكلام معًا، ووجوب العلاقات السليمة: "وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ، **مَمْلُوٌّ سُمًّا مُمِيتًا**. بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ **النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللهِ**. مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا!" (يع 3: 8-10). "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ **إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا**، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ." (2كو 3: 18). (صلاح، 23).

والتفكير اللاهوتيُّ في قصة الخلق يساعدنا على فهم الهوية الإنسانيّة في أن يدرك الإنسان من هو؟ وما هي رسالته؟ في عصر الذكاء الاصطناعيّ يحفز ويركز التفكير اللاهوتي حول معنى أن تكون إنسانًا عاقلًا راشدًا لديك القدرة على التمييز والاختيار، تقود ولا تُقاد، تسيطر ولا يُسيطر عليك أحد.

الهدف من الخلق والسلطة في أن هناك ثلاثة مبادئ أساسية كما يذكرها ستوت في هذا الصدد وهي: لقد منح الله الإنسان سلطانًا على الأرض، ثانيًا: أن السلطة سلطة تعاونية، ثالثًا: إن سيادتنا سيادة منتدبة وهي سيادة مسؤولة. (ستوت، المسيحيّة والقضايا المعاصرة، 118-122).

والربط بين الخلق والتكنولوجيا أتي المفهوم اللاهوتيّ للوكالة على الخلق يشمل الاستخدام المسؤول للتكنولوجيا واحد تجلياته الذكاء الاصطناعيّ. قد تنظر بعض وجهات النظر اللاهوتيّة فيما إذا كان تطوير الذكاء الاصطناعيّ جزءًا من خطة الله للخليقة أو ما إذا كان يشكل تحديات أمام العناية الإلهيّة والفاعليّة البشريّة. وهناك زوايا أخرى كثيرة سوف تظهر ويتم مناقشتها في اشتباك علم اللاهوت مع عصر الذكاء الاصطناعيّ.

باختصار، يتضمن استكشاف العلاقة بين اللاهوت والذكاء الاصطناعيّ التعامل مع الأسئلة الأخلاقية والفلسفية واللاهوتية حول طبيعة البشرية، والاستخدام الأخلاقي للتكنولوجيا، والآثار المترتبة على الممارسات والمعتقدات الدينية في عالم يعتمد بشكلٍ متزايدٍ على الذكاء الاصطناعي.

ثانيًا: أهمية العقل في التفكير المسيحي

من منظور قصة الخلق بأن الإنسان مخلوق على صورة الله، وتتجلى هذه الصورة في أنَّ الإنسان كائن عاقل، وبالتالي كان لتعليم المسيح نصيب كبير في التركيز على أهمية العقل في الحياة، فبعد موعظة الجبل يتحدث عن الإنسان العاقل، الذي بنى بيته على الصخر، الذي يسمع ويعمل (مت 7: 24-27)، ثم يتحدث عن العذارى الحكيمات العاقلات (مت 25: 1-13). في الموقفين العقل هو الذي يحسن التصرف ويختار الأفضل باستمرار.

ويدعو المسيح تابعية للتأمل والنظر والتدبر في الخلق بقوله: "**انْظُرُوا** إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟" (مت 6: 26). "وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ **تَأَمَّلُوا** زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ." (مت 6: 28).

وفي غياب العقل يدمّر الإنسان نفسه، ولذا كان تعامل المسيح في معجزة شفاء مجنون كورة الجدريين خير مثال في التأكيد على عودة عقل الإنسان ليكون على صورة الله كما خُلِق، فذهاب العقل بالإدمان أو المخدرات هو دمار للنفس والجسد معًا، ولعلَّ الصورة التي سجَّلها الوحي تعبر عن روعة تعامل المسيح مع المجنون الذي أصبح عاقلًا: "وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ جَالِسًا وَلاَبِسًا **وَعَاقِلًا**، فَخَافُوا." (مر 5: 15).

ثالثًا: الرسول بولس وأهمية العقل في القدرة على الاختيار والتمييز

كثيرًا ما علَّم الرسول بولس على أهمية العقل في الحياة المسيحيّة؛ فهو يتحدث عن العبادة العقليّة في رومية "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، **عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ**." (رو 12: 1). ثم يُعَلِّم أن يكون لدينا قدرة على الفحص والاختيار، والتمسك بالأفضل: "**امْتَحِنُوا** كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ." (1تس 5: 21). والقدرة على التمييز بين الأمور المتخالفة والضبابية والرمادية كما هو مبين في رسالة فيلبي: "حَتَّى **تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ**، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ" (في 1: 10). وجب أن يكون لدينا الحواس المدربة، حسب ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين: "وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ **بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ** قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى **التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**." (عب 5: 14). ومن مواهب الروح القدس القدرة على التمييز ما ورد في قائمة مواهب الروح القدس في كورنثوس: "وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ **تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ**، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ." (1كو 12: 10). وحسب اختباره الشخصي وما يعيشه: "لِذَلِكَ أَنَا أَيْضًا **أُدَرِّبُ نَفْسِي** لِيَكُونَ لِي دَائِمًا **ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ** مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ" (أع 16: 24).

ويعطي لأهل كورنثوس منظومةً في التفكير في الضوابط الثلاثة: "كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ **تُوَافِقُ**. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ **تَبْنِي**." (1كو 10: 23). "كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ **تُوافِقُ**. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ **لاَ يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ**." (1كو 6: 12).

وعلى مدار التاريخ المسيحيّ كان وما زال للعقل في التفكير المسيحيّ قيمته وأهميته ولا سيما في الحوار الدينيّ المسيحيّ الإسلاميّ الذي كان للعقل مساحة كبير في التفكير؛ فمعظم القضايا المسيحيّة الكبرى كانت تُناقَش من العقل (التفكير العقلي) ثم النقل (الكتب المقدَّسة). وهو ما يدعونا إلى الاقتراب من الفكرة الثانية حول الواقع المعاش (الذكاء الاصطناعيّ) والعقل النقديّ.

القسم الثاني: الواقع المعاش، العقل النقديّ والذكاء الاصطناعيّ

في أثناء الإعداد لملف "الذكاء الاصطناعيّ تحديات ورؤى" وجدت هذه المقولة المهمة، والتي كنت قد فكرت فيها كثيرًا في مداخلتي في الحلقة النقاشية التي نظمتها النسور في الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية حول العقل النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ، وجدت هذه المقالة المهمة وعنوانها: أصبحت الحاجة إلى التفكير النقديّ أكثر من أي وقت مضى، هكذا كانت مقالة Ron Carucci في مجلة فوربس *Forbes* وعنوانها: *Critical Thinking Is More Needed Than Ever*

يقول فيلسوف ألمانيا الأشهر إيمانويل كانت (1724-1804م): "إنَّ النقد هو أهم أداة بناء عرفها العقل الإنسانيّ." (حجي، 12). ويتعاظم هذا الدور النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعي أكثر من أي وقتٍ مضى.

أولًا: الاحتياج الآن إلى التفكير النقديّ أهم من أي وقت مضى

التفكير النقديّ الآن ضروري ومُلِحٌّ ولا غنى عنه، والذي يؤكّد الكاتب رون على أنه مع انتشار الذكاء الاصطناعيّ الآن على نطاق واسع عبر الإنترنت وفي أماكن أخرى، أصبحت مهارات التفكير النقديّ أكثر أهمية من أي وقت مضى. الأشخاص الحقيقيون الذين يتمتعون

بمهارات تفكير نقدي حاد ليسوا مجهزين فقط لحل المشكلات التي لا يستطيع الذكاء الاصطناعيّ حلها، بل سيكونون أيضًا في وضع أفضل للاستفادة بنجاح من الذكاء الاصطناعيّ لتحسين قدراتهم الخاصة، وتحسين مخرجات الذكاء الاصطناعيّ والتخلص من الجهات الفاعلة السيئة. (رون كاروسي، الانترنت).

ويؤكّد رون أيضًا أنه في الواقع، أصبح التفكير النقديّ أكثر ضرورة في عصر الذكاء الاصطناعيّ، سواء لاستخدامه بشكل صحيح، أو للقيام بالعمل اللازم خلف الكواليس لجعله أداة أكثر موثوقية. (رون كاروسي، الانترنت).

ولأهمية موضوع العقل والتفكير النقديّ وضع جون ستوت كتابًا اسماه: "**دور العقل في المسيحيّة**" صدر في نسخته العربيّة القاهرة عن دار الثقافة عام 1991م، يثبت فيه أنَّ العقل هبة ثمينة من عند الله يجب استخدامه على أكمل وجه ممكن. ويضع فيه بعض الحقائق، مثل: "إننا خُلِقنا لنفكر، ونفكر أفكار الله، ويكون لدينا ذهن متجدد" (ستوت، دور العقل في المسيحيّة، 13-20). والسلوك حسب المعرفة العقلية يقود إلى أربعة أمور هامة: "عبادة، إيمان، قداسة، محبة" (ستوت، دور العقل في المسيحيّة، 51-56).

ثانيًا: التفكير النقديّ يضبط الاستخدام الصحيح للذكاء الاصطناعيّ لخدمة الإنسان

التفكير النقديّ هو المفتاح لتسخير إمكانات الذكاء الاصطناعيّ لخدمة الإنسان، يجب علينا جميعًا تحسين قدرات التفكير النقديّ لدينا، لكيلا نتحول إلى أشياء لا قدرة لها ولا إرادة. والتفكير النقديّ يتميز بالأمور التي يفتقر لها الذكاء الاصطناعيّ مثل: الفهم السياقيّ للغة والأفكار، الإبداع والابتكار، الاعتبارات الأخلاقيّة، الذكاء العاطفيّ، القدرة على التكيف.

ثالثًا: التفكير النقديّ يخلق تحديات وفرصًا جديدة

التفكير النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ يمثل تحديات وفرصًا جديدة. بالنظر إلى تقدم التكنولوجيا وانتشار الذكاء الاصطناعيّ في مختلف جوانب الحياة، يصبح التفكير النقديّ أكثر أهمية من أي وقتٍ مضى.

في السياق الحالي، يتطلب التفكير النقديّ القدرة على تقييم المعلومات بشكل منطقي وموضوعي، وفصل الحقائق عن الإشاعات والمعلومات غير الدقيقة التي قد تنتشر بسرعة كبيرة عبر الإنترنت. الذكاء الاصطناعيّ يمكن أن يسهم في هذا العمل من خلال توفير أدوات لمعالجة وتحليل كميات هائلة من البيانات، ولكنه في نفس الوقت يفتح الباب أمام التحديات مثل تزوير الصور والفيديوهات وانتشار المعلومات المضللة.

رابعًا: المطلوب هو تعزيز مهارات التفكير النقديّ

بالنسبة للأفراد، يجب تعزيز مهارات التفكير النقديّ من خلال التدريب المنتظم والممارسة العملية، والاعتماد على الذات في تقييم المعلومات والتحقق من مصادرها قبل اعتمادها أو تبنيها. من جانب آخر، للمجتمعات والحكومات ودور ومؤسَّسات التعليم دور مهم في تعزيز التعليم والوعي بأهمية التفكير النقديّ، واستخدام التكنولوجيا بطريقة تعزز النمو الإيجابي وتقلّل من المخاطر المحتملة.

وهذا يقود إلى التخلص من عيوب تفكيرنا المعاصر كما أسماها طارق حجي في كتابه القيّم: "**نقد العقل العربيّ من عيوب تفكيرنا المعاصر**" الصادر عن دار المعارف بمصر 1998م، وهي: تقلص السماحة في التفكير، المغالاة في مدح الذات، الكلام الكبير، الموضوعيّة المتآكلة، الإقامة في الماضي، ضيق الصدر بالنقد، الاعتقاد المطلق في المؤامرة، التيه الثقافيّ، تمجيد الفرد. وكل هذه العيوب التي ذكرها حجي في كتابه يجب التخلص منها لمجابهة تطور الذكاء الاصطناعيّ.

خاتمة:

باختصار، التفكير النقديّ في عصر الذكاء الاصطناعيّ يجب أن يكون متوازنًا بين استغلال الفرص التكنولوجيّة ومواجهة التحديات الأخلاقيّة والمجتمعيّة التي قد تنشأ نتيجة لهذا التقدم السريع. وباستمرار يجب التأكيد على أهمية دور العقل النقديّ والتفكير النقديّ في استخدام الذكاء الاصطناعيّ لخير البشريّة والإنسان بعيدًا عن تآلية الإنسان (من الآلة) أو تشييئ الإنسان (من الأشياء)، فلنستخدم الذكاء الاصطناعيّ لا يستخدمنا.

المراجع:

Carucci, Ron. *In The Age of AI, Critical Thinking Is More Needed Than Ever*. Available on https://www.forbes.com, cited on 20 Jul. 2024.

Eaton, Michael. *Preaching Through the Bible Genesis 1-11*. England: Sovereign Word, 1997.

حجي، طارق. **نقد العقل العربيّ من عيوب تفكيرنا المعاصر**. القاهرة: دار المعارف، 1998م.

ستوت، جون. **المسيحيّة والقضايا المعاصرة**، ترجمة نجيب جرجور. القاهرة: دار الثقافة، 1990م.

_____. **دور العقل في المسيحيّة**. ترجمة رضا الجمل. القاهرة: دار الثقافة، 1991م.

صلاح، عيد. **لاهوت الخلق محاولة لقراءة قصة الخلق في ضوء الحضور المسيحيّ في الشرق**، القاهرة: دار الثقافة، 2015م.

الطريري، عبد الرحمن. **العقل العربيّ وإعادة التشكيل**. قطر: وزارة الأوقاف للشؤون الإسلاميّة، 1993م.